INDEPENDENT عربية

الحقيقة لا تقصف

إصدار خاص من اندبندنت عربية

عن مصوّرتها مريم أبو دقّة التي قتلت في قصف إسرائيلي على مجمّع ناصر الطبي بقطاع غزّة

«اندبندنت عربية»

تنعى مصورتها بقطاع غزة وتدين الجريمة الإسرائيلية

بمزيد من الحزن، تنعى صحيفة «اندبندنت عربية» مراسلتها ومصورتها الشجاعة مريم أبو دقة، التي قتلت اليوم الإثنين ٢٥ أغسطس ٢٠٢٥، إثر قصف إسرائيلي استهدف مجمّع ناصر الطبي في خان يونس بقطاع غزّة.

لقد كانت مريم مثالاً للتفاني والالتزام المهني منذ انضمامها إلى «اندبندنت عربية» من فترة التأسيس، تحمل كاميرتها في قلب الميدان، وتنقل معاناة المدنيين وأصوات الضحايا بصدق وشجاعة نادرة، ومثّلت في مسيرتها القصيرة الكبيرة صورة الصحافة الحرة المتمسكة بنشر الحقيقة، مهما كانت التحديات والمخاطر.

إنّنا في «اندبندنت عربية»، إذ نودع ابنتنا وزميلتنا مريم أبو دقة، ندين الجريمة الإسرائيلية ونعتبرها انتهاكاً صارخاً للقوانين الدولية التي تكفل حماية العمل الصحافي، ونتقدم بخالص العزاء إلى أسرتها وأحبتها، ونجدّد التأكيد على التزامنا برسالتها التي دفعت حياتها ثمناً لها، وهي إعلاء الحقيقة ونشر المعرفة.

مقتل مصورة «اندبندنت عربية» في غارة استهدفت مجمعا طبيا بخان يونس

قال مسؤولون بقطاع الصحة الفلسطيني إن غارات إسرائيلية على مجمع «ناصر» الطبي في خان يونس بغزة، الإثنين ٢٥ أغسطس (آب) ٢٠٢٥، أسفرت عن مقتل ١٥ شخصاً على الأقل، بينهم مصورة «اندبندنت عربية» مريم أبو دقة.

ووفقاً للمسؤولين فإن المصور حسام المصري أحد الصحافيين الذين قُتلوا في الغارات، وهو متعاقد مع «رويترز»، وأضافوا أن المصور حاتم خالد، وهو أيضاً متعاقد مع «رويترز»، أصيب. وأكدت قناة «الجزيرة»، أيضاً، مقتل مصوّرها الصحافي محمد سلامة في الغارة الإسرائيلية على مجمع «ناصر» الطبي في خان يونس.

من جهته، أعلن الجيش الإسرائيلي عن تنفيذه غارة جوية في محيط مستشفى ناصر بخان يونس في قطاع غزة الإثنين، وأن رئيس هيئة الأركان أمر بفتح تحقيق في الحادثة. وقال مسؤولون في قطاع الصحة الفلسطيني إن الغارة أودت بحياة ما لا يقل عن ٢٠ شخصاً من بينهم خمسة صحافيين، أحدهم يعمل مع «رويترز».

وقال الجيش الإسرائيلي في بيان «وجَّه رئيس الأركان الجنرال إيال زامير بإجراء تحقيق أولي في أقرب وقت ممكن، وجيش الدفاع يعبر عن أسفه لأي ضرر لحق بأفراد غير متورطين (في القتال)، وهو لا يوجه ضرباته نحو الصحافيين بصفتهم هذه، ويعمل قدر الإمكان على الحد من المساس بهم، مع الاستمرار في الحفاظ على أمن قواته».

بدوره، قال رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو إن إسرائيل تأسف بشدة لما وصفها «بالحادثة المأسوية» التي وقعت في مستشفى ناصر بجنوب قطاع غزة. وأضاف، «حربنا مع إرهابيي 'حماس'، هدفنا العادل هو هزيمة 'حماس' وإعادة رهائننا إلى ديارهم».

في الوقت نفسه، أكد الرئيس الأميركي دونالد ترمب أنه يجب تسوية قضية غزة قريباً، مشيراً إلى أن هناك دفعة دبلوماسية جادة للغاية حول القطاع. في الردود، رأت الأمم المتحدة أن تحقيق إسرائيل بشأن قصف المستشفى في غزة يجب أن «يخلص إلى نتائج».

استنكار أممي

بدوره، أوضح المتحدث باسم الأمين العام للأمم المتحدة ستيفان دوجاريك أن الأمين العام أنطونيو غوتيريش يستنكر بشدة مقتل فلسطينيين في قصف إسرائيلي استهدف مستشفى ناصر في غزة، ويدعو إلى إجراء تحقيق فوري ونزيه.

وذكر دوجاريك للصحافيين، «يذكر الأمين العام بضرورة احترام المدنيين وحمايتهم، بمن فيهم العاملون في المجال الطبي والصحافيون، في جميع الأوقات. ويدعو إلى إجراء تحقيق فوري ونزيه في عمليات القتل هذه».

من جانبه، أكد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، أن الغارات الإسرائيلية على مستشفى في غزة «غير مقبولة»، داعياً إسرائيل إلى «احترام القانون الدولي». وقال ماكرون في منشور عبر منصة «إكس»، بعد اتصال هاتفي مع أمير قطر، «يجب حماية المدنيين والصحافيين في كل الظروف، ويجب أن تتمكن وسائل الإعلام من أداء مهمتها بحرية واستقلالية لتغطية حقيقة الصراع»، مضيفاً أن «تجويع شعب بأكمله جريمة يجب أن تتوقف فوراً».

من جانبها، نددت كندا بالقصف الإسرائيلي وأكدت أن إسرائيل ملزمة بحماية المدنيين في منطقة القتال. وقالت وزارة الخارجية الكندية في بيان «تشعر كندا بالفزع إزاء القصف الذي شنه الجيش الإسرائيلي على مستشفى ناصر في غزة، والذي أسفر عن مقتل خمسة صحافيين وعدد كبير من المدنيين، منهم رجال إنقاذ ومسؤولون صحيون. إن مثل هذه الهجمات غير مقبولة».

وأعربت الصين عن صدمتها إزاء الضربتين اللتين نفذتهما إسرائيل على مستشفى «ناصر» في جنوب قطاع غزة، وأسفرتا عن مقتل ٢٠ شخصاً بينهم خمسة صحافيين. وعبر المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية غو جياكون عن «صدمتنا وإدانتا لأن أفراد طواقم طبية وصحافيين لقوا مجدداً للأسف حتفهم في النزاع»، مقدماً تعازيه لأقاربهم.
والأحد، أعلن الدفاع المدني في غزة مقتل ٤٢ شخصاً على الأقل بنيران إسرائيلية في القطاع الفلسطيني، فيما يستعد الجيش الإسرائيلي لاجتياح مدينة غزة.
وتواصلت وكالة «الصحافة الفرنسية» مع الجيش الإسرائيلي لكنه لم يعلق على الحصيلة على الفور. وقال المتحدث باسم الدفاع المدني في غزة محمود بصل، إن حصيلة القتلى منذ الفجر بلغت الآن ٤٢. وأفاد بتعرض مدينة غزة وعدة مناطق من القطاع في الوسط والشمال والجنوب لغارات إسرائيلية.
وأشار بصل إلى أن الغارة الأكثر دموية استهدفت حي الصبرة بمدينة غزة وأسفرت عن مقتل ثمانية أشخاص.
وأكد إبراهيم الشرفا وهو أحد سكان حي الصبرة أن «الوضع خطر للغاية بكل معنى الكلمة. كل يوم، وكل دقيقة، هناك تفجيرات (...) وموت ودماء، لم نعد نتحمل». وأضاف، «تستمر الغارات على حي الصبرة، ويستمر القصف المدفعي على الأحياء السكنية ومنازل المدنيين في هذه الأثناء. لا نعرف إلى أين نذهب، الموت يلاحقنا في كل مكان».
ووجه رئيس أركان الجيش الإسرائيلي إيال زامير رسالة مباشرة إلى رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، شدد فيها على ضرورة اغتنام الفرصة المتاحة حالياً لإبرام صفقة تقضي بتحرير الرهائن المحتجزين في قطاع غزة. وأكد رئيس الأركان، الأحد، أن أي خطوة نحو احتلال غزة بشكل كامل ستعرض حياة الرهائن لخطر بالغ، لافتاً إلى أن الاعتبارات العملياتية والأمنية تفرض التعامل مع هذا الملف بحذر شديد.

وأوضح في رسالته أن الجيش الإسرائيلي نجح خلال الأشهر الماضية في تهيئة ظروف ميدانية وأمنية ملائمة تتيح التوصل إلى صفقة، داعياً القيادة السياسية إلى استغلال اللحظة وعدم إضاعتها.

ويواجه نتنياهو ضغوطاً متزايدة للتوصل إلى وقف لإطلاق النار لتأمين إطلاق سراح الرهائن ووقف الحرب. وأفادت تقارير إعلامية أن أعضاء اليمين في حكومة نتنياهو يعارضون بشدة التوصل إلى اتفاق مع «حماس». وقال وزير المالية بتسلئيل سموتريتش لأقارب الرهائن إنه سيخرج من الائتلاف الحاكم إذا وافق نتنياهو على وقف إطلاق النار.

سقطت الكاميرا وبقيت الصورة

مريم أبو دقة ضحية حرب غزة

رحلت في قصف إسرائيلي وهي تنقل بحياد ومهنية وقائع التصعيد الإسرائيلي في القطاع

عز الدين أبو عيشة

مراسل اندبندنت عربية في قطاع غزة

بينما كانت مريم أبو دقة تعتلي مبنى الطوارئ في مجمع ناصر الطبي بمدينة خان يونس جنوب قطاع غزة لتلتقط صوراً توثق فيها القصف الإسرائيلي العنيف وتفجير جنود الجيش المنازل ونسفها شنت الطائرات الحربية غارة على المبنى أدت إلى ارتقاء مصورة «اندبندنت عربية» ضحية جديدة تنضم لصفوف قافلة الصحافيين الذين ارتقوا في حرب تل أبيب ضد قطاع غزة.

بصاروخين اثنين شنت الطائرات الحربية الإسرائيلية غارتين على مكان تجمع الصحافيين ورجال الإطفاء والمرضى استهدفت الطابق الأخير (الطابق الرابع) من مبنى الطوارئ في مجمع ناصر الطبي وسقط مع مريم أبو دقة ثلاثة صحافيين آخرين.

بارتقاء مصورة «اندبندنت عربية» يرتفع عدد الصحافيين الذين سقطوا خلال الحرب الإسرائيلية على غزة والمتواصلة منذ ٢٢ شهراً إلى ٢٤٥ صحافياً، وهذا أكبر عدد من الطواقم الإعلامية يقتل في الصراعات الحديثة.

غطت مريم أبو دقة على مدار سنوات عملها مع «اندبندنت عربية» جميع العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد قطاع غزة، وبخاصة أحداث وتطورات الحرب الحالية، ولم تنقطع عن عملها ليوم واحد طوال أشهر القتال الخطر الذي اندلع في السابع من أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٢٣.

منذ اندلاع الحرب لبست مريم أبو دقة درعها الصحافية وودعت ابنها الوحيد غيث وانطلقت إلى مدينة غزة المركزية مع زملائها الصحافيين، لتغطية أحداث الحرب.

خلال فترة القتال لم تنقطع مريم أبو دقة عن تغطية أحداث القتال، وشمل عملها تصوير رحلات النزوح والجوع والقصص الإنسانية والتوغلات البرية للجيش والقصف الجوي وصورت مقطع فيديو لكل تطورات الحرب.

فقدت مريم في الحرب منزلها ومعداتها الصحافية، وعلى رغم ذلك لم تنقطع عن عملها وأصرت على مواصلة تغطيتها الصحافية ولم تنقطع لأي لحظة عن رصد أحداث الحرب والقصص الإنسانية التي خلفها القتال.

كانت مريم أبو دقة دؤوبة في عملها الصحافي نشيطة جداً تواصل عملها في الليل والنهار. يقول عنها نائب نقيب الصحافيين الفلسطينيين تحسين الأسطل «شهدت لها نشاطاً لا مثيل له في التغطية الإعلامية، كانت توجد في كل زاوية وفي كل حدث إعلامي».

عاشت مريم قصصاً صعبة في حياتها خاصة في فترة الحرب، إذ اضطرت إلى توديع ابنها الوحيد غيث، الذي قرر السفر إلى الإمارات، لكن الأم الصحافية أصرت على البقاء في غزة لمواصلة تغطية مجريات الحرب.

في الحرب أيضاً، مرضت أم مريم كثيراً ولم تجد علاجاً لها في غزة، وماتت على سرير المستشفيات، ومرت بحالة نفسية حرجة على فقدان حضنها الحنون، وعلى رغم ذلك واصلت عملها الصحافي، وحملت كاميرتها وانتقلت بين القصف والتدمير لتلتقط صوراً ومقاطع فيديو.

ومن قصص مريم في حياتها الإنسانية أنها كانت مجبرة على تصوير زملائها الصحافيين الذين ارتقوا في حرب غزة، ومع كل زميل يسقط تسأل «هل سأكون بين الضحايا مثل زملائي، أم سأنجو من هذه المقتلة؟».

صديق أبو دقة هو شقيق مريم يقول عن حياتها، «كانت رقيقة جداً وحساسة، دائماً تحب فعل الخير مع العائلة والجيران، متعاونة مع الجميع وتقدم لهم الخدمات من دون أن تسمع كلمة شكراً، مريم رحلت وأخذت قلوبنا معها».

يحضن الأب رياض أبو دقة جثمان ابنته مريم ويبكي بحرقة، ويقول «فقدت أغلى بناتي، كانت حياتي متعلقة بها، تحدثني كل لحظة تطمئن عليَّ، رحلت مريم، وهي خسارة كبيرة لنا وللصحافيين، مريم كانت نموذجاً إنسانياً راقياً».

تجمَّع الصحافيين على جثمان مريم ووَدَّعوها، وكانت لحظة قاسية جداً وفيها كثير من الحزن، حملوا نعشها لمواراتها الثرى والدموع فقط كانت سيدة الموقف تسقط على رحيل مريم.

برحيل مريم تخسر «اندبندنت عربية» ونقابة الصحافيين الفلسطينيين والحركة الإعلامية مصورة كانت مبدعة في صورتها ونشطة في تغطية الأحداث، حساسة جداً ولطيفة أكثر، وفي وداعها فإننا مصممون على مواصلة عملنا الصحافي ونشر القصص وتغطية تطورات الحرب باستقلالية وحيادية ومهنية وحرفية عالية، كما كانت زميلتنا مريم أبو دقة.

INDEPENDENT عربية

مريم أبو دقّة
تودّع العالم بتدوينة مؤثرة

بمنشور على «فيسبوك» كتبت قائلة «حين ترى التراب يغطي أغلى ما لديك وقتها ستدرك كم هي تافهة الحياة»

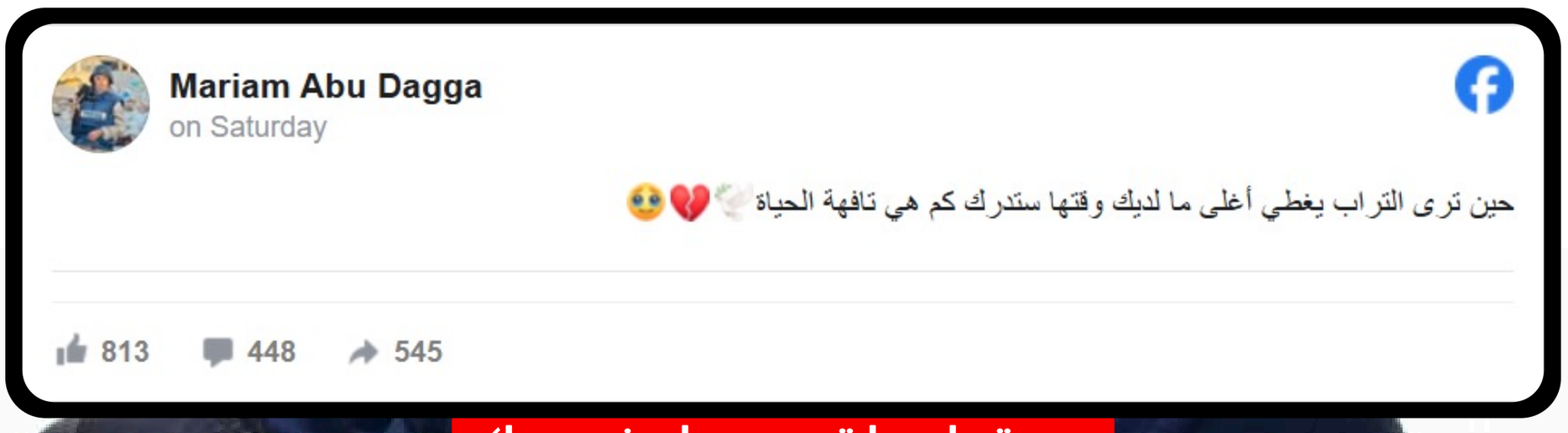

صورة ما سطرته مريم على فيسبوك

قتل الجيش الإسرائيلي مصورة «اندبندنت عربية» في قطاع غزة مريم أبو دقة، إثر قصف جوي استهدف مجمع ناصر الطبي في خان يونس، صباح يوم الإثنين الـ ٢٥ من أغسطس (آب) ٢٠٢٥.

وآخر ما دونته أبو دقة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، منشورها على «فيسبوك» يوم الأحد، حول ما يجري ضد الفلسطينيين في القطاع من تجويع وجرائم إبادة جماعية، إذ كتبت «حين ترى التراب يغطي أغلى ما لديك وقتها ستدرك كم هي تافهة الحياة».

وتنعى «اندبندنت عربية» وفريقها المصورة مريم أبو دقة وزملاءها من الصحافيين والمصورين والإعلاميين الذين قضوا صباح الإثنين في قصف للاحتلال الإسرائيلي على مجمع ناصر الطبي في قطاع غزة.

وأكدت مصادر صحافية فلسطينية مقتل الصحافي حسام المصري مصور وكالة «رويترز» وزميليه المصورين محمد سلامة ومعاذ أبو طه، خلال قصف لجيش الاحتلال الإسرائيلي على مجمع ناصر الطبي في مدينة خان يونس جنوب غزة. وأكد مجمع ناصر الطبي استهداف الاحتلال الإسرائيلي قسم العمليات في مبنى الياسين بالمجمع.

ويعمل الجيش الإسرائيلي على تضييق الخناق حول النازحين المكدسين في مدينة غزة، باستخدام التجويع والقصف، لإجبارهم على النزوح القسري من المنطقة مجدداً، قبل اجتياحها والاستيلاء عليها.

فيديو الوداع لمريم أبو دقة

«الطريق إلى غزة»

قبل دقائق من مقتلها صورت الدمار والركام في القطاع وكأن الموت هو ثمن الحقيقة

منذ بداية الحرب الأخيرة تحول حساب مريم أبو دقة إلى نافذة توثيق مباشر من الميدان

مي الشريف

مساعد رئيس التحرير

ملخص:

رحلت مريم لكن رسالتها لم ترحل معها، إذ بقت عين الكاميرا مسلطة على الأحداث، وكأنها بآخر ما صورته أرادت أن تخبر العالم أن الطريق إلى الحقيقة في غزة ثمنه الموت، وأن ما يجري ضد الفلسطينيين في القطاع من تجويع وترويع وتدمير وجرائم إبادة جماعية، حاولت نقله بمهنية وحياد حتى الرمق الأخير من حياتها.

قبل دقائق من مقتلها، صباح اليوم الإثنين، وثقت مريم أبو دقة مصورة «اندبندنت عربية» بالكاميرا رحلة وصولها إلى مجمع ناصر الطبي في خان يونس، للانضمام إلى فريق المصورين والصحافيين الذين ينقلون الأحداث وتطورات الحرب الإسرائيلية في قطاع غزة.

عبر حسابها على «فيسبوك» نشرت مريم عدداً من الفيديوهات القصيرة «ريلز» منهم اثنان قامت بتصويرهما صباح اليوم، الأول لأحد المصابين جراء القصف الإسرائيلي، والثاني وهي في طريقها لمتابعة الأحداث وعنونت الفيديو بـ»الطريق لغزة».

ما إن وصلت مريم إلى مكان تجمع رفاقها من الصحافيين والمصورين وتحديداً الطابق الأخير (الرابع) من مبنى الطوارئ في مجمع ناصر الطبي، حتى شنت الطائرات الحربية الإسرائيلية غارتين على مكان التجمع وقصفت المبنى بصاروخين، فقضت مريم نحبها ومعها عدد من الصحافيين.

رحلت مريم لكن رسالتها لم ترحل معها، إذ بقت عين الكاميرا مسلطة على الأحداث، وكأنها بآخر ما صورته أرادت أن تخبر العالم ان الطريق إلى الحقيقة في غزة ثمنه الموت، وان ما يجري ضد الفلسطينيين في القطاع من تجويع وترويع وتدمير وجرائم إبادة جماعية، حاولت نقله بمهنية وحياد حتى الرمق الأخير من حياتها.

لم تكن مريم تودع الحياة مؤمنة بالقضية الفلسطينية، وهي تترك رسائل، بل أرسلت لكل من ضحوا من أجل الأرض والقضية، إذ شاركت مقطعاً آخر أمس كتبت فيه «أعدك باني لن انساك من دعائي إلى ان يشاء الله، ويلحقني بك سلام عليك طبت وطاب قبرك يا فقيد».

ونشرت المصورة في «اندبندنت عربية» قصة صحافية عبر صفحتها على «فيسبوك» بعنوان «حلم شاب مقعد في قطاع غزة»، وكانت القصة تعبيراً عن أسلوبها المهني في توثيق معاناة المدنيين وتسليط الضوء على الفئات المهمشة وسط الحرب، وجاءت ضمن التدوينات الأخيرة في سياق يومياتها التي حولت صفحتها إلى مساحة أرشيفية لحياة تحت القصف.

في آخر ظهور لها عبر «فيسبوك»، تحدثت المصورة الميدانية مريم أبو دقة إلى جمهورها عن الأوضاع في غزة، مؤكدة أن «الظروف غير آمنة في أي مكان»، وأن المدنيين يعيشون حالة قلق دائم، إذ يرى كثيرون أن المخاطرة بالانتقال من مكان إلى آخر لا تقل خطراً عن البقاء في مناطقهم، واوضحت، من خلال تسجيل التقطته بكاميرتها الصغيرة، ان بعض النازحين محدودي الحركة يفضلون البقاء في أماكنهم على رغم الأخطار، لأنهم مقتنعون أن «كل مناطق القطاع غير آمنة».

إلى جانب هذه الشهادات الإنسانية، وثقت مريم قصة طفل أصيب بالشلل جراء إصابته في قصف التقت به في القطاع، جلست إلى جواره وصورت معاناته اليومية في الحصول على ابسط مقومات الحياة تحت الحصار والقصف، لتقدم صورته كملخص لحالة المدنيين الذين يواجهون الحرب بأجساد منهكة وظروف صحية صعبة.

وبالنسبة إلى مريم، كانت قصة الطفل رمزاً لواقع أكبر: مجتمع بأكمله يفتقد الأمان ولا يجد مكاناً آمناً في غزة.

وختمت مريم حالتها الأخيرة بمقطع قصير من داخل سيارة تتحرك في شوارع غزة بين الركام والدمار، كأنها أرادت أن تترك خلفها شهادة بصرية أخرى عن أن حياتها اليومية، مثل حياة جميع من في القطاع، كانت محاطة بالموت من كل جانب.

منذ بداية الحرب الأخيرة تحول حساب مريم أبو دقة إلى نافذة توثيق مباشر من الميدان، إذ نشرت صوراً وجملاً قصيرة تعكس حجم الدمار والمعاناة اليومية مثل المنازل المهدمة، وأطفال يبحثون عن الطعام، ونساء تحت الركام، وقصتها الأخيرة عن الشاب المقعد لخصت رؤيتها للعمل الصحافي من زاوية إنسانية كوسيلة لنقل صوت من لا يملكون القدرة على التعبير.

في صباح اليوم قصفت الطائرات الإسرائيلية محيط مجمع ناصر الطبي مما أسفر عن مقتل ١٥ شخصاً في الأقل، بينهم عدد من الصحافيين منهم مصورة «اندبندنت عربية» مريم أبو دقة، وتداول ناشطون صوراً أظهرت جثمانها في المستشفى، حيث لم تتوفر أسرة كافية للضحايا، في مشهد يعكس الوضع الإنساني المتدهور في القطاع.

صفحة مريم على «فيسبوك» تحولت بعد إعلان مقتلها إلى ساحة للتعليقات التي نعتها وأشادت بعملها، وكتب متابعون عبارات مثل «مريم شهيدة الحقيقة» و«رحلت العدسة التي وثقت غزة»، في حين عبّر زملاء من وكالات دولية عن تقديرهم لعملها وأدانوا مقتلها باعتباره جزءاً من استهداف أوسع للصحافيين في غزة.

الصور والتدوينات التي تركتها على حسابها الشخصي باتت تمثل أرشيفاً رقمياً يعكس التحديات التي يواجهها الصحافيون في غزة والأثمان التي يدفعونها في سبيل نقل الأحداث.

ووصفت منظمة «مراسلون بلا حدود» قتل الصحافيين بأنه جريمة حرب، كما أشارت «هيومان رايتس ووتش» إلى أن استهداف الصحافيين ومنشآتهم يتم بصورة ممنهجة ويهدف إلى الحد من التغطية المستقلة للانتهاكات.

مقتل مريم أبو دقة يندرج في سياق أكبر من الأخطار التي تواجهها الصحافة في مناطق النزاع، حيث يدفع الإعلاميون ثمناً مباشراً لعملهم الميداني.

وصية مريم أبو دقة الدائمة لي
«انتبه... وكن وصوت المجتمع»

بدأت عملها في «اندبندنت عربية» عام ٢٠٢٠ وكانت نموذجاً رائعاً في التصوير

العبارة الأخيرة التي تفوهت بها مريم شدت انتباهي كثيراً وسألتها «ما بك» أجابت «لا شيء... إلى اللقاء، سأرسل لك صوراً وأتمنى أن تسامحني»

عز الدين أبو عيشة

مراسل اندبندنت عربية في قطاع غزة

ملخص:

أعجبت بأداء مريم وصورها، وعرضت عليها العمل معي كمصورة في «اندبندنت عربية»، وافقت بسرعة وبدأنا العمل معاً، كفريق صحافي، أنا أكتب التقارير الصحافية والقصص الإنسانية وهي ترسل الصور ومقاطع الفيديو.

كانت الساعة السابعة صباحاً (بالتوقيت المحلي) من يوم الإثنين ٢٥ أغسطس (آب) ٢٠٢٥، عندما اتصلت بي زميلتي الراحلة مريم أبو دقة، وعندما أجبت على المكالمة الهاتفية سارعت في حديثها «صباح الخير عزّ، كيف منطقتك، ماذا تريد صوراً لتقريرك، استعجل في طلبها لأنني أخطط لزيارة أبي، فأنا مشتاقة له».

ضحكت قليلاً وأجبت «ما أسرعك في الحديث يا مريم، أي صورة جديدة التقطتها عدستك أرسليها لي، كل الصور خاصتك رائعة وتصلح لأي تقرير مهما كان تصنيفه». قاطعتني وأخذت تتحدث بسرعة حتى من دون أن تمنحني فرصة للرد «أنت موهوب يا صديقي. انتبه على نفسك، وواصل التغطية وكن صوت المجتمع».

«اتمنى ان تسامحني»

العبارة الأخيرة التي تفوهت بها مريم شدت انتباهي كثيراً وسألتها «ما بك» أجابت «لا شيء... إلى اللقاء، سأرسل لك صوراً وأتمنى أن تسامحني». انتهت المكالمة ولكن لم تنتهِ القصة، إذ كان هذا الاتصال مقدمة لأحداث سقوطها ضحية لقصف إسرائيلي استهدف مبنى الطوارئ في مجمع «ناصر» الطبي في مدينة خان يونس جنوب قطاع غزة.

في الساعة الـ ١١ صباحاً، تلقيت أول اتصال هاتفي من زملائي في خان يونس، أبلغوني فيه بأن قصفاً استهدف مجمع «ناصر» الطبي، شعرت قلبي يتوقف، وسألت لا إرادياً «أين مريم»، فأبلغوني بأنها مصابة «وقد تكون ارتقت ضحية للغارة».

حاولت الاتصال بمريم عشرات المرات لكن لا إجابة، على الفور اتصلت بشقيقها صدقي، وحينها أبلغني «مريم رحلت»، صدمني الخبر، سقطت دموعي لا إرادياً، شلّ لساني عن الحديث، فقط انهيت المكالمة وتسمرت في مكاني.

بعد خمس دقائق على الصدمة، أجريت اتصالات مع زملائي في مكاتب «اندبندنت عربية» في بيروت ولندن، وأبلغتهم بالخبر، كان صادماً للجميع، في كل مرة أبلغ أحد مدرائي أبكي ويضيق صدري كثيراً.

بداية عملنا

في عام ٢٠٢٠، تعرفت إلى مريم أبو دقة بصفتها مصورة حرة، طلبت منها ثلاث صور لمزارع الورود في مدينة رفح أقصى جنوب القطاع بعدما ذبلت ورفضت إسرائيل تصديرها واطعمها صاحبها للخراف، بعد دقائق كانت الصور مرفقة في رابط ووصلت إلى بريدي الإلكتروني.
أعجبت بأداء مريم وصورها، وعرضت عليها العمل معي كمصورة في «اندبندنت عربية»، وافقت بسرعة وبدأنا العمل معاً، كفريق صحافي، أنا أكتب التقارير الصحافية والقصص الإنسانية وهي ترسل الصور ومقاطع الفيديو.
مرت سنوات عملنا بسرعة، وفي كل مرة أطلب صوراً لتقرير ما تنجزه مريم بأقصى سرعة، كانت نموذجاً رائعاً في أداء مهامها، لا ترفض اي تقرير، وطالما قالت لي «اطلب اي صورة سألتقطها، أنا أحب التصوير ليس كحرفة وإنما كرسالة».
كررت مريم هذه العبارة في السنوات الخمس التي قضيناها نعمل معاً نحو ٢٠٠٠ مرة، وفي كل مرة أشعر كأنها بدأت للتو عملها معي، نشاطها متجدد وأداء الجودة والدقة نفسهما، وصورها رائعة جداً وفيها معان كثيرة ورسائل تفهم حتى من دون نص.

تستيقظ مبكرا جدا

ما كان يعجبني في زميلتي الراحلة، أنها كانت تستيقظ باكراً، كل يوم تصحو عند السادسة صباحاً، تفتح عينيها لأجل أن تبدأ عملها كمصورة مبدعة، حتى قبل اندلاع الحرب كانت تفعل ذلك، وعندما أسالها لماذا باكراً جداً تجيب «العمل يحب النشاط».
كل يوم حتى وإن لم يكن هناك تكليف صحافي تتصل بي مريم عند الساعة السابعة صباحاً، توقظني من نومي، وتطلب مني بدء العمل وأن أطلب منها صوراً ومقاطع فيديو، لقد كانت نشيطة ومتفانية ولديها مهارات عالية.

قصصها من الناس

غريبة مريم، كانت تبحث عن القصص في الشوارع وبين زقاق الحارات الشعبية وفي المستشفيات وحتى من وسط حديث الناس، لا تحب التقليد وتحب أن تلتقط صورها بنفسها، وتتعامل بإنسانية عالية جداً.

نادراً ما كنت أرافق مريم في تصويرها، ولكن عندما كان يحدث وأكون بجانبها وهي تلتقط الصور ألاحظ أنها تفعل ذلك بمهارة وحرفية، وتخرج صورها وكأنها تتحدث وتروي فحوى الموضوع حتى من دون شرح وتوضيح.

إنسانية

في تعاملها المهني كانت مريم رقيقة جداً وإنسانية، إذا طلب زملاؤها صورها تقدمهم لهم بحب، وإذا سألها أحد عن طريقة للوصول لصاحب القصة تقدمه بكل تواضع، أراها تعطف على الصغار وتحرم الآخرين، متسامحة متواضعة.
في الحرب، طلبت من مريم توخي الحذر وعدم المخاطرة، لكنها كانت تجيبني دائماً إجابة غريبة «في هذه الحرب سأسقط ضحية، لا تخاف عليّ، وأكمل رسالتنا، لا تتوقف وكن صوتاً للمجتمع، أكتب قصتك فأنت مبدع».
بصراحة كنت أحب ثناءها على قصصي وتقاريري، لقد أبلغتني، في أيام الحرب، بأن زملاءنا المصورين والصحافيين يسألونها عن المواد الصحافية التي ننجزها ويريدون أن يعملوا مثلها، كنت أشعر بالفخر في حديثها، «فقد نهضنا بمؤسستنا اندبندنت عربية، وجعلنا من اسمها مصدراً لكل المواد الإبداعية»، كان ذلك حديثها.

رحلت مريم وتركتني وحيداً

مقتنعة مريم أنها ستسقط ضحية للقتال الدائر في غزة، وكانت تقول لي «ستسقط الكاميرا من يدي يوماً ما في هذه الحرب»، فعلاً رحلت مريم وهي تغطي القصف الإسرائيلي على مدينتها خان يونس.

مريم لم تكن مجرد صحافية، بل مقاتلة بالكاميرا، عاشت الحرب تتنقل بين البيوت المدمرة والمستشفيات المزدحمة بالمصابين، ومخيمات النزوح، توثق ما لا تريد إسرائيل توثيقه، هي ترى نفسها عين العالم التي يشاهد بها حرب غزة.

رحلت مريم، وتركتني وحيداً، صحيح أن زملاء الصحافة يقفون بجانبي، لكن فراقها كان قاسياً جداً، تركت لي صورها التي وثقت الحقيقة، ووصيتها التي ستبقى تقرأ، وأنا اليوم عاجز تماماً عن العمل من دونك يا عزيزتي.

رحلت مريم وفي يدها الكاميرا، لكنها ستظل في ذاكرتنا، جميعاً، حكاية ستروى طويلاً، رحلت مريم وتركتني مكسوراً أردد اسمها كل لحظة، أحدث صغاري عنها، وعلى رغم رحيلها المبكر لكنها تعيش في قلبونا.

إن قصة مريم تذكرني دوماً بأن الحرية ثمنها غال، وأن الرسالة تحتاج للتضحية، وأن الصحافة في غزة ليست مجرد مهنة، بل هي صوت وذاكرة وتاريخ، ستظل عزيزتي مريم في قلبي أذكرها طالما عشت، بأنها واحدة من الصحافيات اللواتي قدمن حياتهنّ دفاعاً عن المهنة ورسالة الإعلام.

الصحافي معاذ أبو طه الذي قتل في مجمع ناصر الطبي يلتقط «سيلفي» مع الزميلة الراحلة في «اندبندنت عربية»

مريم أبو دقة

ذاكرة بصرية لن يمحوها الرصاص

ملخص:

بينما كانت مريم أبو دقة تعتلي مبنى الطوارئ في مجمع ناصر الطبي بمدينة خان يونس جنوب قطاع غزة لتلتقط صوراً توثق فيها القصف الإسرائيلي العنيف، شنت الطائرات الحربية غارة على المبنى أدت إلى ارتقاء مصورة «اندبندنت عربية» ضحية جديدة، ضمن كتيبة من صحافيي غزة الذين راحوا ضحية للحرب.

إنجي مجدي
صحافية في اندبندنت عربية
مكتب لندن

وسط دوي أصوات القنابل التي تتساقط من حيث لا تدري، وبين الركام المتناثر لمنازل سويت بالأرض، التي ما زالت جدرانها المهدمة تروي قصص ساكنيها وحكايات عائلات عاشت ثم اندثرت تحت القصف، ارتدت المصورة الصحافية مريم أبو دقة سترتها الزرقاء الداكنة وخوذتها التي بالكاد قد تقيها من حجر متطاير، لكنها بالتأكيد لن تصمد أمام صاروخ أو قذيفة تستهدف مقاتلين سلميين أخذوا على عاتقهم نقل الحقيقة إلى العالم، والكشف عن وحشية احتلال بطشت دباباته وقذائفه بحيوات مليوني شخص.

بكاميرتها وجسدها الهزيل الذي أضعفه الجوع والعطش، أصرت أبو دقة على أن تجوب أحياء غزة المدمرة، لتوثق لحظة بلحظة المأساة الإنسانية التي تعصف بسكان القطاع منذ السابع من أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٢٣. التقطت صوراً لوجوه الأطفال المذعورين، ولنساء فقدن أبناءهن أو يحملن أطفالاً يتضورون جوعاً، ولشيوخ يودعون بيوتاً احتضنت أعمارهم ثم تحولت إلى غبار، ولمئات آخرين يهرولون في ذعر بعيداً من نيران ساقطة من السماء. بعدساتها روت قصصاً عن الفقدان والخذلان والألم، وطرحت أمام الرأي العام العالمي أدلة بصرية على حجم الكارثة الإنسانية.

وفجر اليوم الإثنين، حملت أبو دقة كاميرتها مرة أخرى، متوجهة نحو مجمع ناصر الطبي في خان يونس. أرادت أن توثق معاناة جديدة، لكن صاروخاً إسرائيلياً باغتها قبل أن تلتقط الصورة التالية، فارتقت وتركت الصورة شاهدة. كانت المفارقة أنها قتلت في المكان نفسه الذي صورت فيه قبل أسبوعين أزمة «الكفن» ونقص الإمكانات داخل مغسلة المجمع، التي تكافح لتجهيز ضحايا الحرب بأعداد تفوق طاقتها.

برحيلها، انضمت أبو دقة، ذات الـ٣٣ سنة، إلى كتيبة من نحو ٢٠٠ صحافي دفعوا حياتهم ثمناً لشجاعتهم، لكنها تركت وراءها صوراً تنطق بالوجع، وتختزن في كل بكسل منها صرخة ضد الظلم، وذاكرة بصرية لا يمكن محوها. رحلت وهي تحمل «سلاحها السلمي»، الكاميرا، لتبقى شاهدة على جرائم لم تمح بعد من ذاكرة العدسات.

وتعد الحرب بين إسرائيل و«حماس» في قطاع غزة من أكثر الصراعات دموية بالنسبة إلى العاملين في مجال الإعلام، فوفق اللجنة الدولية لحماية الصحافيين فإنه ما لا يقل عن ١٩٢ صحافياً قتلوا في غزة، خلال الصراع الممتد على مدى ٢٢ شهراً.

INDEPENDENT عربية

تغطية الصحافة العالمية

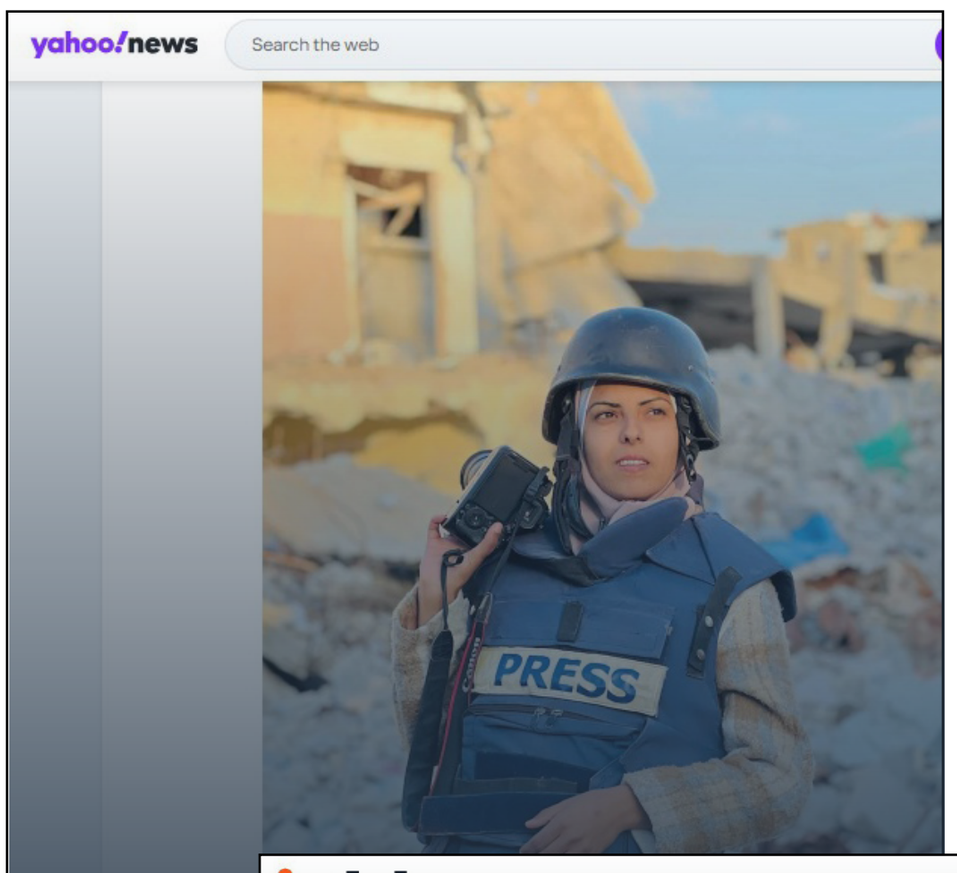

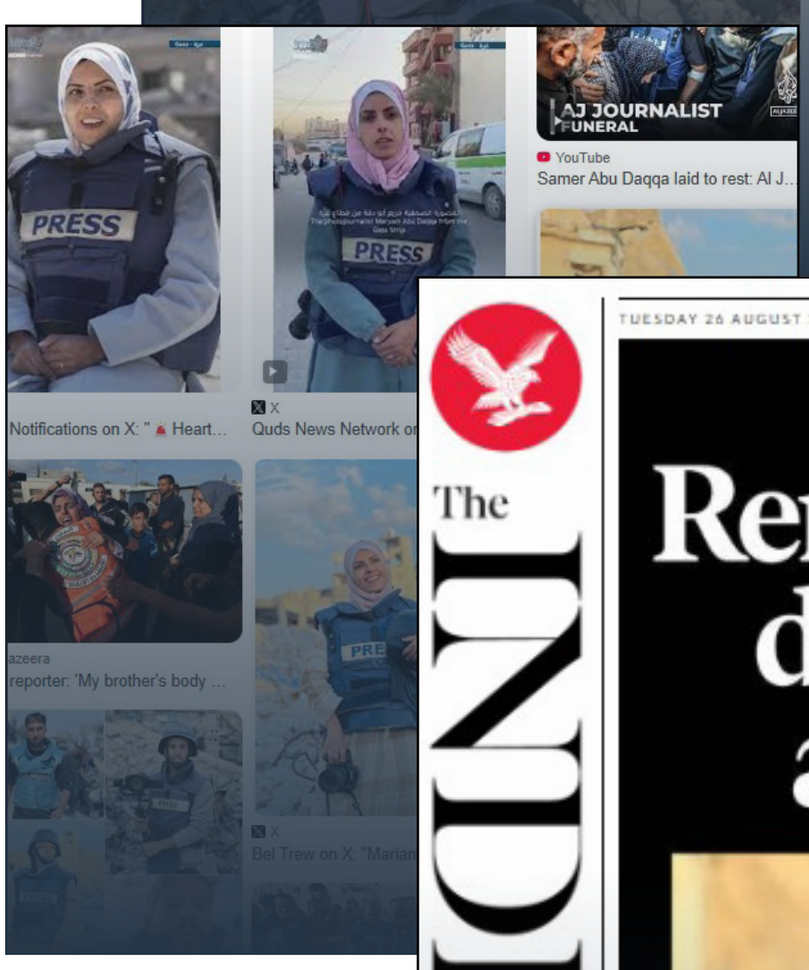

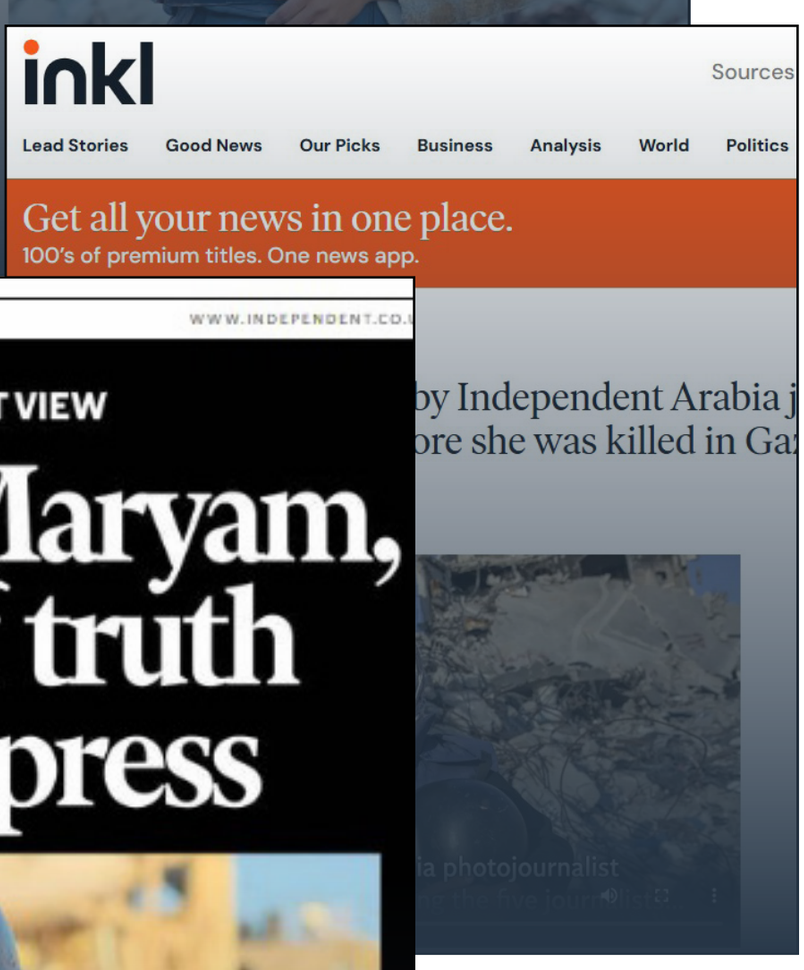

INDEPENDENT
عربية

Independent Arabia journalist among 20 killed in Israeli strike on Gaza hospital

Witnesses have told The Independent five journalists and multiple medics were killed in a double strike as they rushed to attend to and document the wounded

Bel Trew Chief International Correspondent, Nedal Hamdouna
• Tuesday 26 August 2025 11:08 BST • 109 Comments

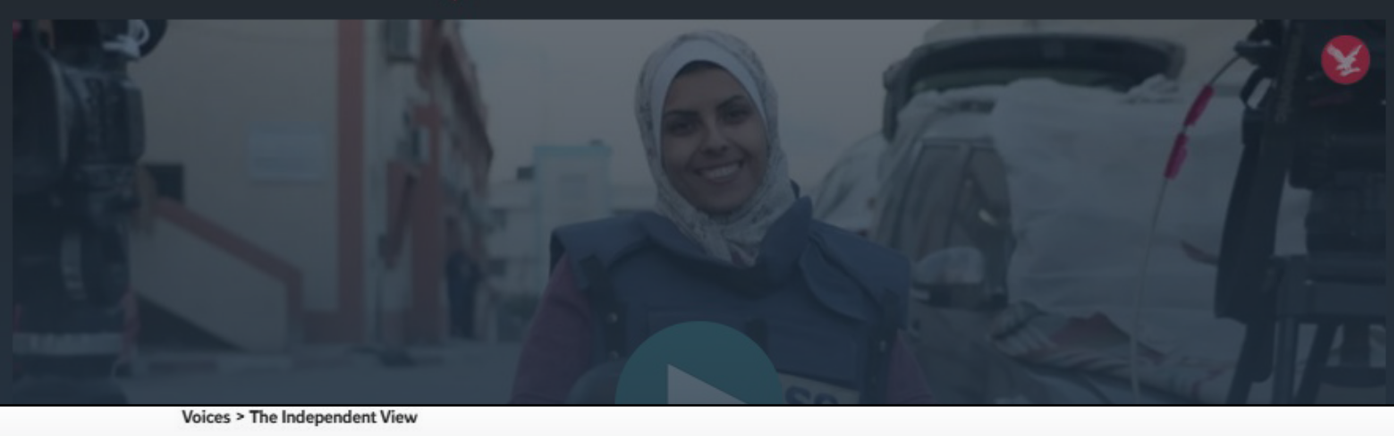

Voices > The Independent View

THE INDEPENDENT VIEW

Israel's killing of journalists is a shameful silencing of reporting on Gaza

Editorial: The world relies on local reporters because Israel does not allow international journalists into Gaza. We cannot let any more civilian casualties, of any sort, take place in this conflict

Monday 25 August 2025 20:49 BST • 29 Comments

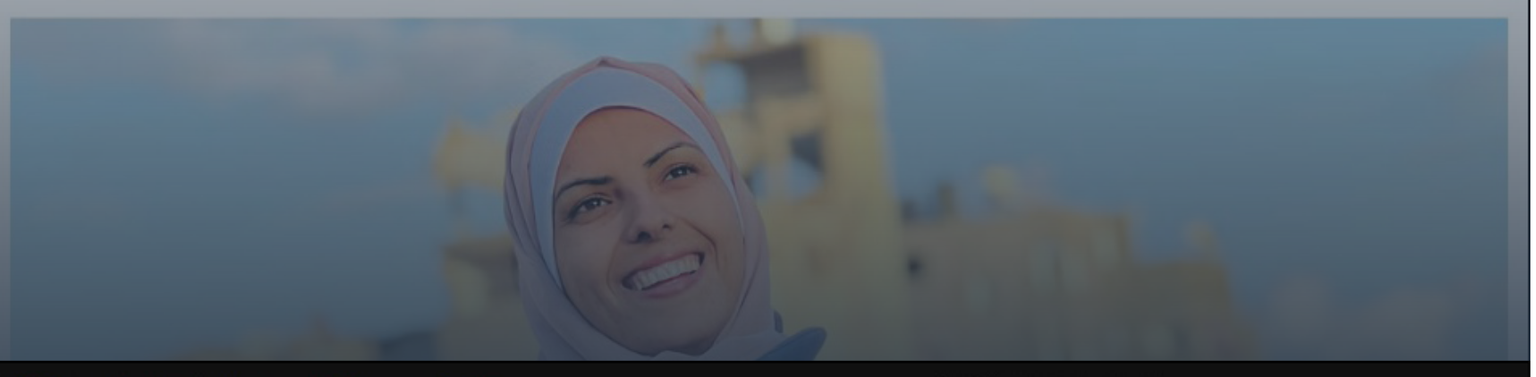

Latest Local News Live Shows ••• CBS NEWS

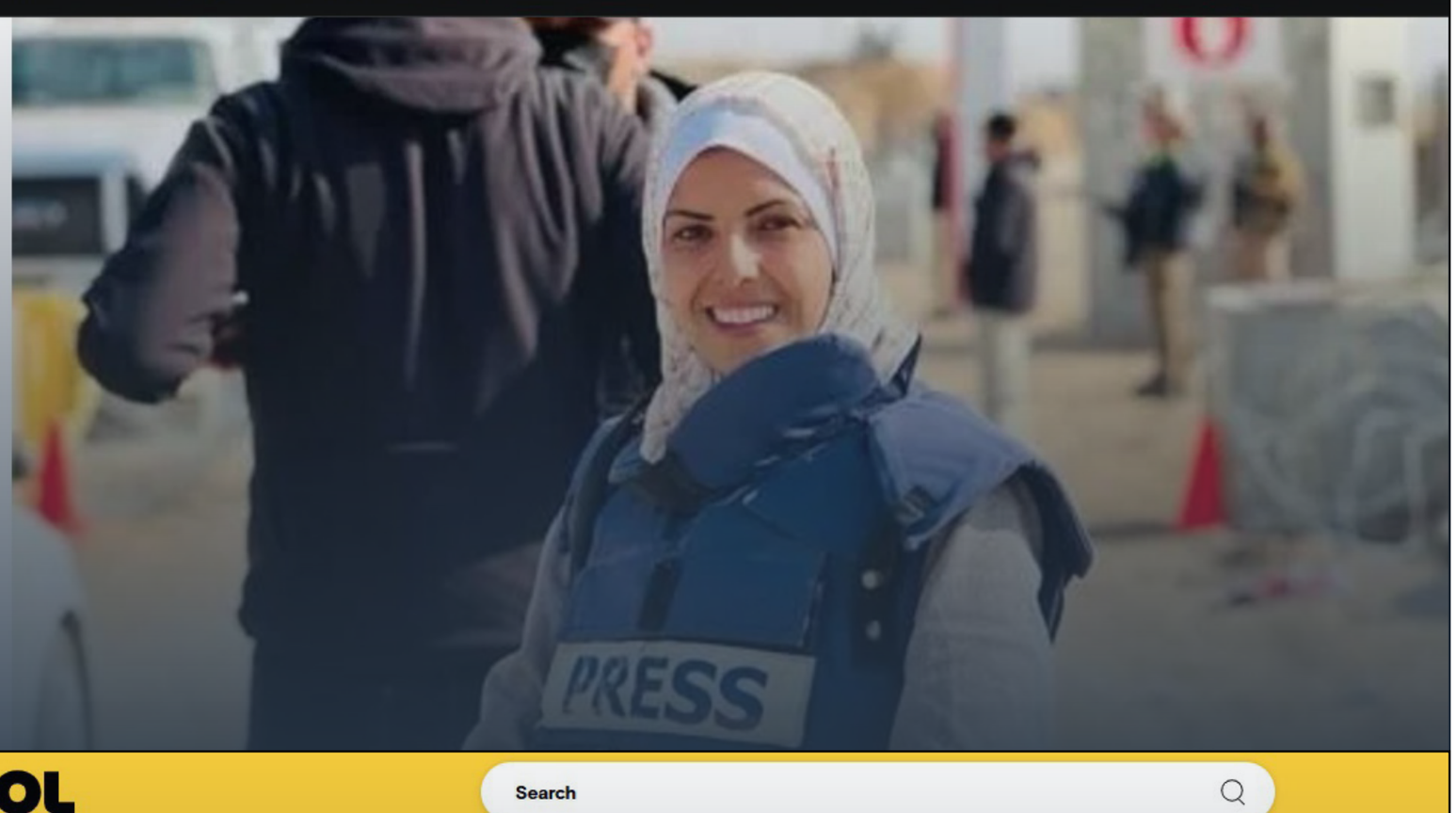

AOL Search

Animals
Entertainment
Games
Horoscopes
Lifestyle
Money
News
Sport
Weather
Amazon Deals

Maryam Abu Daqqa's father pays tribute to Independent Arabia journalist killed in Israeli strike

INDEPENDENT HOLLY BISHOP
Tue 26 August 2025 at 10:27 am BST

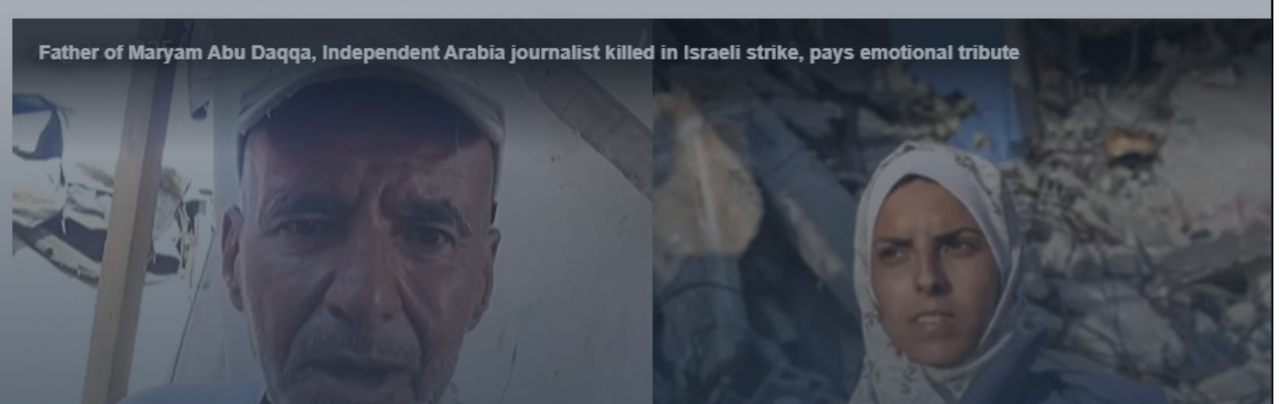

www.independentarabia.com